احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

— ٣ —

رأى الامام الزمخشري ان يشتق من اسم العلم العربي والعجمي فأقدم ولم يحجم، شجعته العربية فتشجع وهو من أبطالها . قال في أساسه بعد ان ذكر عمرو بن بحر الجاحظ : « و [تجاحظ فلان في كلامه] »

وقال في شرح مقامة التصدق : « ابن الفرات هو علي بن محمد الفرات وكان كريمًا سخيًا سرياً [يتبرمك] في أيام وزارته »

وقال في مقامة العمل : « ولو سمع قول قائل من صحبانه سحبانُ بن وائل [لاستبقل] من الدهش »

قال في شرحها : « استبقل كلمة موضوعة ، استفعل من باقل المضروب به المثل في العي ، قيس على استنوق الجمل ونظائره ، ونحوه ما في قول المعري :

استنبط العرب في الموامي بعدك واستعرب النبيط »

والكلمات الثلاث المتقدمات تغني عن سطور في التوضيح طويلات

وهذه الطريقة الزمخشرية في الاشتقاق من الأعلام قد سلكت من قبل ، ففي (الأغاني) في أخبار ابن سريج : « هذا صوت قد [تمعبد] فيه ابن سريج »

وفي الأغاني في أخبار دعبل الخزاعي يقول أديب لرجل رجع من عند دعبل ذي الشيطنة : « ما ذا [دعبلتَ] عنده »

ومن استقرى[1] أحاديث العرب في الجاهلية والاسلامية (الاموية) وجد ان العربية قد اشتقت مثل هذا الاشتقاق ولم تردد، ففي (تاريخ الأمم والملوك) للطبري ج٨ص٢٥٨ « ... لما قدم يوسف بن عمر العراق قال : اشيروا علي برجل أوليه خراسان

---

(١) استقرى لا استقرأ ، قرا الامر وافتراه واستقراه وتقراه : تتبعه، وفي التاج في (ق ر و) واستقرى الاشياء تتبع أقراءها لمعرفة أحوالها وخواصها . وفي (المصباح) : استقرأ ، وعندي ان هذا تصحيف او تطبيم او وهم ان كان الفيومي قد خطه ؛ واستقرى هي في جميع معجماتهم وفي جميع اقوالهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأشاروا عليه (بجماعة سماهم الطبري) فكتب يوسف باسمائهم الى هشام ، وأضرى القيسية ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكناني . فقال هشام : ما بال الكناني آخرهم ؟ وكان في كتاب يوسف اليه : يا أمير المؤمنين ، نصر بخراسان قليل العشيرة . فكتب اليه هشام : قد فهمت كتابك واطراءك القيسية ، وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقل من أنا عشيرته ؟ ولكنك [تقيست علي وأنا متخندف عليك] ابعث بعهد نصر ، فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين بله ما ان تميما اكثر أهل خراسان . . .

وكان أحد الأدباء سأل صاحب (الضياء[1]) هذا السؤال :

« جاء في كلام الجرائد الافرنجية في هذه الأيام لفظة مرتجلة عربيها أصحاب الجرائد عندنا بدرفس وهي كلمة مشتقة من اسم دريفوس فهل ورد في العربية شيء من مثل ذلك »

فأجاب : « لا نذكر من مثل ذلك عندنا الا حكاية جاءت في الأغاني . محصلها ان بدر بن معشر الغفاري كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعته فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ وجعل ينشد ويقول :

نحن بنو مدركة بن خندف ... من يطعنوا في عينه لم يطرف

ومن يكونوا قومه يغطرف ... كأنهم لجة بحر مسدف

وكان ينشد وهو باسط رجليه يقول : أنا اعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضرب هامتي بالسيف . فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له الاحمر بن مازن فضربه بالسيف على ركبته فاندرها اي أطارها ثم قال : خذها اليك ايها المخندف »

(قلت) : جاء في (الفائق) : « الزبير (رضي الله عنه) سمع رجلاً يقول يا لخندف فخرج وبيده السيف وهو يقول أخندف اليك ايها المخندف[2] »

قال الزمخشري : الخندفة الهرولة ، ولو قيل : ان نونها مزيدة واشتقت من خدفت السماء بالثلج اذا رمت به لان المهرول يقذف بنفسه في السير — كان وجها[3] . أراد بالمخندف المنادي بيالخندف

---

(١) السنة ١ ص ٣٣٨

(٢) اللسان : قال ابو منصور : ان صح هذا من فعل الزبير فانه كان قبل نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن التعزي بعزاء الجاهلية .

(٣) التاج : الخندفة مشتق من الخدف وهو الاختلاس قال ابن سيده : ان صح ذلك فالخندفة ثلاثية ، وفي مستدركه : خندف : اختلس بسرعة . . .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وروى اللسان قول الزبير وزاد : (والله لئن كنت مظلوماً لأنصرنك) وقال : خندف الرجل انتسب الى خندف [١] ، قال رؤبة : (إني اذا ما خندف المسمي)

* * *

مثل (احترم) المتقدمة — اكتنه ، برهن ، تجيَّل ، لاشى تلاشى ، كيَّف تكيف ، تطور . وكثيرات من اخواتهن لا يحصى عددهن ، والكنه والبرهان والجيل وكيف والطور لم يكن في العربية لأولى الاهن ، ولم يسمع فعل منهن ، ثم رأت العربية القوية في الحضارة والنضارة ان تشتق فاشتقت

١ — اكتنه

قال الأساس اكتنه الأمر بلغ كنهه ، وعندي من السرور مالا يكتنهه الوصف

وقال الحريري في (الخلبية) فجلست اليه لا بلوجني نطقه ، واكتنه كنه حمقه

وقال الأزهري صاحب (تهذيب اللغة) : اكتنهت الأمر اكتناهاً اذا بلغت كنهه ، روى عبارته اللسان

وقال المجد في معجمه : اكتنهه وأكنهه بلغ كنهه

قلت : نأخذ من مجد الدين (اكتنه) وندع (أكنه) قامسة في (قاموسه) لاتخرج منه ابداً

وأما الجوهري فهذه مقالته في ذلك الفعل : لا يشتق منه (اي من الكنه) فعل ، وقولهم : لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه اي قدره وغايته — كلام مولد

قلت: قد اشتقت العربية منه فعلا ... ولم يجادل مجادل في توليد القول ، ولم يقل : «قرأته في (الصحاح [٢]) وسمعته من الأفحاح) كما قال الزمخشري في احدى سجعاته في أساسه

٢ — برهن

قال ابونصر الجوهري في (تاج اللغة وصحاح [٣] العربية) :

البرهان : الحجة ، وقد برهن عليه : أقام الحجة

---

(١) امرأة الياس بن مضر بن نزار غلبت على نسب أولادها منه ...

(٢) المزهر : قال الثبريزي : يقال كتاب الصحاح بالكسر وهوالمشهور ، وهو جمع صحيح كظريف وظراف ، ويقال الصحاح بالفتح ، وهو مفرد نعت كصحيح . وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة في فعيل كصحيح وصحاح ، وشحيح وشحاح ، بريء وراء . في التاج : قال شيخنا : والحق صحة الروايتين وثبوتهما من حيث المعنى ، ولم يرد عن المؤلف في تخصيص احدهما بالسند الصحيح مايصار اليه ولا يعدل عنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الزمخشري في (أساس البلاغة) في ديباجته : المبرهنين على ما كان من العرب العرباء

وقال الحريري في التاسعة (الاسكندرية) فبرهن الآن عن نفسك ، والا كشفت عن لبسك

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج المجلد ١ ص ٤٠٣ : واعلم أنا قد تكلمنا عليه (يعني المثل السائر لابن الأثير) في كتابنا الذي أفردناه للنقض عليه ، وهو الكتاب المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر[1] . فقلنا أولاً انه اختار حد الكناية ، وشرع [يبرهن] على التحديد ، والحدود لا يبرهن عليها ، ولا هي من باب الدعاوي التي تحتاج الى الأدلة ، لان من وضع لفظ الكناية لمفهوم مخصوص لا يحتاج الى دليل ، كمن وضع لفظ الجدار للحائط لا يحتاج الى دليل

وجاء في لسان العرب : يقال : برهن يبرهن برهنة اذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم فهو مبرهن

وقال الانسان الكامل الاستاذ الامام في (رسالة التوحيد) ص ٦ :

... ولكنه (يعني الكتاب الكريم) أقام الدعوى [وبرهن] وحكى مذاهب المخالفين ، وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الاحكام والاتقان على انظار العقول

وقال حجة الاسلام في (الوحي المحمدي) ص ١٦٢ : وجملة القول انه ما وجد دين ولا شرع ولا قانون في أمة من الأمم أعطى النساء ما أعطاهن الاسلام من الحقوق والعناية والكرامة . أفليس هذا كله من دلائل كونه من وحي الله العليم الحكيم الرحيم لمحمد النبي الأمي المبعوث في الأميين ؟ بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين [المبرهنين] والحمد لله رب العالمين

ومن الغرائب والعجائب ان اللسان يقول في (برهن) ما تلوته أيها القارئ ، ثم يقول في (بره)

(١) مطبوع في الهند ، كنت لخصته ونشرت طائفة مما لخص في مجلة الهلال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما قولهم : برهن فلان فهو مولد ، والصواب ان يقال : (أبره) اذا جاء بالبرهان كما قال ابن الاعرابي ان صح عنه

قلت : برهن مولد كما قال وقلنا ، وبرهن صواب ، وأبره خطأ اذ لم يقلها عربي ولا أعرابي ولا إسلامي ولا محدث ، ولن يقولها احد — ان شاء الله — انها لفظة بشعة منكرة [والعياذ بالله] وقول اللسان : (ان صح عنه) يدل انها لم تصح عنه ، ولو رواها ابن الاعرابي واستند الى الاعرابي لرددنا روايته ، وان كان افتعلها فهو من الآثمين ...

واغرب مما جاء به ابن منظور ما أتاه الامام الزمخشري فهو يقول في مقدمة الاساس (المبرهنين) ثم يقول في كتابه هذا :

أبره فلان : جاء بالبرهان ، وبرهن مولد ، والبرهان بيان الحجة من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان من السليط لاضاءته

(قلت) : ابره ليست من كلام العرب ، واذا صحت عندك فكيف آثرت مولدة على العربية فلم تقل من (المبرهين) نعوذ بالله

والله لو قلتها لشوهت تلك (الدبباجة) البارعة الباهرة ذات الحفلة[1]

والبرهان — يا أبا القاسم — ليست من البرهرهة وانما هي لفظة استعرناها في الجاهلية من الجيران ، والناس تعير وتستعير ، والأمم تأخذ وتعطي في كل زمان . والسلطان قالوا فيه كما قلت ، وقال قائل : انه من اللسان السليط الحديد ، من السلاطة ، وقال آخر : هو من السطوة والحدة ، وقيل غير ذلك . ومن يتل أقوال اللغويين في اشتقاق [السلطان] وتذكيره وتأنيثه وفي كونه مفرداً أو جمعاً تطل بلبلته ...

وأغرب مما صنع ابن منظور والزمخشري ما فعله حجة الاسلام فانه جاء الى قول الاستاذ الامام في (رسالة التوحيد) : « وأقام الدعوى وبرهن » فقال في الحاشية : « قال في الأساس : ابره : جاء بالبرهان ، وبرهن مولد »

---

(١) في الأساس : على وجه فلان غسلة اذا كان حسناً ولا ملح عليه ، ويقال في ضده على وجهه حفلة . ونقل (التاج) هذا القول ، ولم يذكر الزمخشري (الحفلة) هذه في (ح ف ل) وذكرها في (غ س ل) وفي حفل قال : هذا ثوب يحفل الوجه اي يظهر حسنه ويجمله ، وحفل وتحفل : تزين ، ولبس ثياب الحفلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماذا تعني — يا ابا شافع - بما علقت ؟ هل ترى ان الاستاذ الامام قد أخطأ فجيت تنبه على غلطه ...

اذا كان الامر كذلك فكيف قلت في الوحي المحمدي: [وناعلى ذلك من الشاهدين المبرهنين] واذا كانت للأدب لغة ، وكانت للعلم لغة فهل يجوز لعالم متكلم من المتكلمين — وان فرض ان في العربية (ابره) — ان يقول في مبحث كلامي علمي الا (برهن) ؟

٣ — تلاشى

بنت العربية (الملاشاة والتلاشي) من (لا شيء) في القرن الثالث فقالت : لا شى ، يلاشي ، ملاشاة . وتلاشى ، يتلاشى ، تلاشيًا .

جاء في (النهج) : سبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ، ولا ليل ساج ، في بقاع الارضين[١] المتطأطئات ، ولا في يفاع السفع[٢] المتجاورات ، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء ، وما [تلاشت[٣]] عنه بروق الغمام ، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء

وقال البديع الهمذاني في احدى رسائله يعاتب بعض اصدقائه (ص ٢٦٤ شرح العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب) .

الوحشة أطال الله بقاء الشيخ تقدح في الصدر اقتداح النار في الزند ، فان اطفئت بارت [وتلاشت] وان عاشت طارت وطاشت . وورد هذا القول في مقامته (الخلفية) وقال في الصميرية: «وتلاشت صحتي» (شرح العلامة الشيخ محمد عبده ص ٩ ٢)

وفي (ارشاد الأريب) لياقوت في سيرة الحسن بن عبد الله المرزباني (شارح كتاب سيبويه) : « التفاوت في تلاشي الاشياء غير محاط به »

---

(١) بفتح الراء وربما سكنت في المخصص واللسان والتاج بحث في هذا الجمع

(٢) ابن ابي الحديد: السفع المتجاورات ههنا الجبال وسماها سفعاً لان السفعة سواد مشرب بحمرة وكذلك لونها في الاكثر (٣) قال ابن ابي الحديد (المجلد ٢ ص ٥٣٢ : هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهي صحيحة ، وقد جاءت ووردت ، قال ابن الاعرابي: لشا الرجل اذا اتضع وخس بعد رفعة ، واذا صح اصلها صح استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل ، وقال القطب الراوندي : تلاشى مركب من لا شيء ، ولم يقف على أصل الكلمة

(قلت) مقالة ابن ابي الحديد متلاشية ، والحق مع القطب الراوندي صاحب (شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وراوي الجملة هو المنشىء العبقري ابو حيان التوحيدي « الذي ربما كان اعظم كتاب النثر العربي على الاطلاق » كما يقول العرباني (متز) في كتابه المشهور الذي عربه او ترجمه الاستاذ محمد عبد الهادي ابو ريدة ج ١ ص ٣٩٥ وفي (العمدة) لابن رشيق ج ١ ص ٨٠

اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ... ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب ... فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع ... وكذلك ان اختل اللفظ جملة [وتلاشى] لم يصح له معنى لأنا لا نجد روحاً في غير الجسم البتة

وفي المثل السائر لابن الأثير: واوسعها توشية وإذهاباً إذا وسع غيرها تلاشياً وذهاباً

وقال ابن خلدون في الفصل ٢٤ (في ان الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء) . والسبب في ذلك ما يحصل في النفوس من التكاسل إذا ملك أمرها عليها ، وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم ، فيقصر الامل ، ويضعف التناسل ، والعمران انما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية . فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم - تناقص عمرانهم ، [وتلاشت] مكاسبهم ومساعيهم ، وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم ، فأصبحوا مغلبين لكل متغلب ، وطعمة لكل آكل ... وفيه سر آخر ، وهو ان الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له ، والرئيس اذا غلب على رئاسته[1] وكبح عن غاية عزه — تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبده ... »

والتلاشي في كلام ابن خلدون كثير

وقال أمير البيان الامير شكيب ارسلان في مؤلف له :

---

(١) قل كثيرون الرئاسة والرياسة ، وأبى بعضهم الا الرآسة . وقالوا الريس قال الكميت : (تهدى الرعية ما استقام الريس) رواه اللسان في شعر له ، وروى : كان يقال : ان الرياسة تنزل من السماء فيصب بها رأس من لا يطلبها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ولو لم تتلاش العصبية الجنسية بالعصبية الدينية لبقي العرب محصورين في جزيرتهم لا تعلم بهم الامم ولا يذكرهم التاريخ الا لماماً ولكانوا الى يومنا طرائق قددا خضعاً رقابهم لعدو يأتيهم من طرف العراق باسم كسرى ، ومن طرف الشام باسم قيصر[1] ... اذا كان محمد (ﷺ) نقل الناس من ظلمات الوثنية والرذائل الى نور التوحيد وفضائله فما معنى هذه المفاخرة بالعرب قبل الاسلام ، وما وجه تذكار ذلك التاريخ العربي المملوء بفظائع الجاهلية وسفاحها ووأد بناتها وعبادة عزاها ومناتها »

وجاءت اللفظة في شعر الغزي (مواسم الادب ج ١ ص ٢٩٥) والصنوبري (رواه شفاء الغليل) وفي نقد النثر المنسوب لقدامة ص ١١٧ وأوردها التاج في مستدركه ، ووردت في كليات ابي البقاء ص ٣٣٣

فالتلاشي مولدة كيسة ، وقد تقبلها من تلوت أقوالهم ، وسمينا اسماءهم بقبول حسن ثم طلع علينا الخفاجي في آخر الزمان يقول في (شفاء الغليل) :

« التلاشي بمعنى الاضمحلال عامية ، لا أصل لها في اللغة »

عامية يا شيخ « قدك اتئب ، أربيت في الغلواء[2] » خف الله ، احترم أولئك الأئمة ، قل مولدة ، قل محدثة . لقد ظلمتها حين ذممتها ، واستأصلت أصلها . والنسب

---

(١) قلت منذ تسع سنين في احدى مقالاتي في البلاغ المصري (العرب وقواعد لغتهم) ... جماعة في اليمن يضيمها الاحبوش ، واخرى في الحيرة عبداق عند الفرس ، وفريق في حوران تابع ذنب عند الرومان ، وشراذم نجار في الحجاز عرفناهم أيام الحجار ... ثم كان (خالق) خلق — يهدي الله وحوله — امة ، وهو — وان عزي الى امته — فوق فوق امته ، وفوق سائر الامم . وكان (كتاب) كون لغة ، وكون أدبا ، وهو — وان عد من العربية — فوق فوق العربية ، وفوق كل لغة . نعم بمحمد كانت عرب ، وبمحمد كانت عربية ، وبه كانت امة ، وبه كانت لغة ، وبه كان أدب ، وبه أضاء الوجود والوجود مظلم .

في (نهج البلاغة) : تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم ... فتركوهم عالة مساكين ... اذل الامم داراً واجدبهم قراراً ، لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ... فالاحوال مضطربة ، والايدي مختلفة ... في بلاء ازل ، واطباق جهل ، من بنات موؤدة ، وأصنام معبودة ، وأرحام مقطوعة ، وغارات مشنونة . فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم ، وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها »

(قلت) وفي (الكتاب) التاريخ الحق والقول الفصل (٢) ابو تمام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مشهور ، والناجلان معروفان ، وهما (لا) و (شيء) وقد نشأت في العراق ، ورحب بها (المهللون) و (المبسملون [1]) و (المحمدلون) والادباء والعلماء والباحثون

جاء في (جامع البيان) تفسير الطبري ج ١ ص ١٠ :

... لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع اليه اصحابه ، فودعهم ثم قال : لا تنازعوا في القرآن ، فانه لا يختلف ولا [يتلاشى] ولا ينفد لكثرة الرد . وان شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة . ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر — كان ذلك الاختلاف . ولكنه جامع ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام . ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ فيأمرنا نقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلنا محسن . ولو أعلم أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتى ازداد علمه الى علمي . ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن ، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه ، فانه من جحد بآية جحد به كله »

(قلت) : ان صح شيء من معاني هذا الحديث فقد رواه راويه في القرن الثالث بلغة وقته .

(يتبع) محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) روى ابوعلي في أماليه :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا بأبي ذاك الغزال المبسمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net